

سُورَةُ الشُّورَى

قَالَ تَجَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشُّورَى: ٣]

القرءات: (يوحى) قرأ ابن كثير بفتح الحاء وبعدها ألف رسمت ياء وقرأ الباقون:

بكسر الحاء وياء بعدها.

التوجيه: قرئ (يوحى) بكسر الحاء وياء بعدها، ولفظ الجلالة (الله) فاعل، والمعنى:

مثل ذلك الإيحاء الذي أوحى الله إليك يا محمد، أوحى الله إلى سائر الرسل، وقرئ (يوحى) بفتح الحاء، وألف بعدها رسمت ياءً على بناء الفعل لنائب الفاعل، ووجهها تعيين الفاعل، ويحتمل أن يكون فيها دلالةً على تشابه طريقة الوحي ورسول الوحي (جبريل)، والموحى به [أي التشابه في العقائد]، فأتى بالفعل مبيناً للنائب للدلالة على العموم، والله أعلم.

فائدة: قال الألويسي: مبيناً وجه رفع اسم الجلالة (الله) على قراءة ابن كثير (يوحى)؛

قال الزمخشري: رافعه ما دل عليه (يوحى) كأنَّ قائلاً قال: من الموحى: فقيل: الله وإنما قدر كذلك على ما قاله صاحب الكشف ليدل على أن الإيحاء مسلّم معلوم، وإنما الغرض من الإخبار إثبات اتصافه بأنه تعالى من شأنه الوحي لا إثبات أنه موح، ولم يرتض القول بعدم الفرق بين هذا وقوله تعالى ﴿يَسِّخُ لَهُ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿رَجَالٌ﴾ بل أوجب الفرق لأن الفعل المضارع هنالك على ظاهره لم يؤت به للدلالة على الاستمرار ولهم فيه مقال.

قَالَ تَجَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشُّورَى: ٥]

القرءات: (تكاد) قرأ نافع والكسائي بياء التذكير والباقون بياء التأنيث.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ بالياء وبالطاء، وهما وجهان جائزان في الفعل

المسند إلى جمع غير المذكر السالم وخاصةً مع عدم التأنيث الحقيقي يقصد أن تأنيث كلمة السماوات تأنيث لفظي وليس حقيقياً.

قَالَ الْعَجَلِيّ: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ [الشورى: ٥]

القراءات: قرأ أبو عمرو وشعبة ويعقوب (ينفطرن) بالنون بعد الياء وكسر الطاء مخففة، وقرأ الباقر (يتفطرن) بالتاء بعد الياء وفتح الطاء مشددة.

التوجيه: قال الألويسي: قرئ (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله تعالى وجلاله جل شأنه، وروي ذلك عن قتادة وأخرج جماعة، منهم الحاكم وصححه، عن ابن عباس أنه قال: تكاد السموات يتفطرن من الثقل، وقيل: من دعاء الشريك والولد له سبحانه كما في سورة مريم، وأيد هذا بقوله تعالى بعد: «والذين اتخذوا من دونه أولياء»، فيراد الغفور الرحيم بعد لأنهم استوجبوا بهذه المطالبة صب العذاب عليهم، لكنه صرف عنهم لسبق رحمته عزَّ وجلَّ.

وقرأ البصريان، وأبو بكر (ينفطرن) بالنون، والأول أبلغ لأنه مطاوع التفطير والمطاوع من التفعيل والتفعل الموضوع للمبالغة بخلاف الثاني فإنه انفعال مطاوع للثلاثي.

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور (يتفطرن) بتحتية ثم فوقيه وأصله مضارع تفطر، وهو مطاوع التفطير الذي هو تكرير الشق، وقرأه أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بتحتية ثم نون وهو مضارع: انفطر، مطاوع الفطر مصدر فطر الثلاثي، إذا شق، وليس المقصود منه على القراءتين قبول أثر الفاعل إذ لا فاعل هنا للشق وإنما المقصود الخبر بحصول الفعل، وهذا كثير، كقولهم: انشق ضوء الفجر، فلا التفات هنا لما يقصد غالباً في مادة التفعل من تكرير الفعل إذ لا فاعل للشق هنا ولا لتكرره، فاستوت القراءتان في باب البلاغة، على أن استعمال صيغ المطاوعة في اللغة ذو أنحاء كثيرة واعتبارات كما نبه عليه كلام الرضى في شرح الشافية.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٢٣]

القرءات: (يبشر) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمة والكسائي بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ (يبشر) بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين مكسورة، وهو من بشره، إذا أخبره بحادثٍ يسره، وقرئ بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين مخففة، يقال: بشرت الرجل بتخفيف الشين أبشره من باب نصر إذا أغبطه بحادثٍ يسره.

قلت: قال في لسان العرب: بشرته فأبشر واستبشر وتبشر وبشر: فرح.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا

فَعَلُوا﴾ [التَّوْبَةِ: ٢٥]

القرءات: (ما تفعلون) قرأ حفص وحمة والكسائي وخلف العاشر ورويس بخلف عنه بتاء الخطاب على الالتفات وقرأ الباقون بياء الغيب وهو الوجه الثاني لرويس.

التوجيه: قراءة (ما يفعلون) بالياء على وجه الغيبة تحتل أن تكون إخباراً عن علم الله بأفعال المشركين الصادين عن سبيل الله، وهو مناسب لقوله قبلها ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٢٤]، وتحتل أن تكون إخباراً عن علم الله بما يفعله المؤمنون الذين وعدهم بالتوبة عليهم في قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا فَعَلُوا﴾ [التَّوْبَةِ: ٢٥]، فهي على الوجه الأول تهديد، وعلى الثاني تبشير وقراءة (تفعلون) بالتاء فيها التفات وتحتل كذلك ما تحتمله القراءة الأولى إلا أن الالتفات على الوجه الأول يفيد التوبيخ والتهديد للمشركين وذلك بمخاطبتهم بأن الله عليهم بأفعالهم القبيحة وعلى الوجه الثاني يفيد التودد والتبشير للمؤمنين.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ وَلَوْ سَطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾

[الشورى: ٢٧]

القراءات: قرأ: نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر «يُنَزِّلُ الغيث» وقرأ الباقون: «يُنَزِّلُ الغيث».

التوجيه: قراءة «ينزل» بالتشديد تفيد كثرة الفعل وتكرره، كما تفيد التدرج، فالشمس - بإذن الله - بحرارتها تبخر ماء البحر الذي يتكاثف في السماء عند برودة الجو فينزل المطر، وقراءة «ينزل» بترك التشديد تفيد أن مجرد نزول المطر فيه خير وبركة وإغاثة، وإن قلَّ المطر النازل، والله أعلم.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

القراءات: «فبما» قرأ: نافع وابن عامر وأبو جعفر «بما» بدون فاء وقرأ الباقون: «فبما» بالفاء.

التوجيه: قال الألويسي: وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر في رواية، «بما» بغير فاء لأنها ليست بلازمة وإيقاع المبتدأ موصولاً يكفي في الإشعار المذكور. وحكي عن ابن مالك أنه قال: اختلاف القراءتين دل على أن ما موصولة فجئ تارة بالفاء في خبرها وأخرى لم يؤت بها خطأً للمسبب عن المسبب به، وجوز كون ما شرطية واستظهره أبو حيان في القراءة بالفاء وجعلها موصولة في القراءة الأخرى بناءً على أن حذف الفاء من جواب الشرط مخصوص بالشعر عند سيبويه نحو:

..... من يفعل الحسنات الله يشكرها

والأخفش وبعض نحاة بغداد، أجازوا ذلك مطلقاً، ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِنِ اطَّعْتَهُمْ

إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

وقال أبو البقاء: حذف الفاء من الجواب حسن إذا كان الشرط بلفظ الماضي، ويعلم منه مزيد حسن حذفها هنا على جعل ما موصولة.

وقال ابن عاشور: والباء للسببية، أي سبب ما أصابكم من مصيبة هو أعمالكم، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (بما كسبت أيديكم) على أن (ما) موصولة وهي مبتدأ. و(بما كسبت أيديكم) ظرف مستقر هو خبر المبتدأ، وكذلك كتبت في مصحف المدينة ومصحف الشام وقرأ الباقر (فبما كسبت أيديكم) بفاء قبل الباء وكذلك كتبت في مصحف البصرة ومصحف الكوفة، على أن (ما) متضمنة معنى الشرط فاقرن خبرها بالفاء لذلك، أو هي شرطية والفاء رابطة لجواب الشرط ويكون وقوع فعل الشرط ماضياً للدلالة على التحقق.

قَالَ الْجَلَالِيُّ: ﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجِدُّونَ فِيءَ آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ [الشورى: ٣٥]

القرءات: قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر «ويعلم» وقرأ الباقر «ويعلم».

التوجيه: قال الرازي: قرأ نافع وابن عامر: يعلم بالرفع على الاستئناف وقرأ الباقر بالنصب، فالقراءة بالرفع على الاستئناف وأما بالنصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم. ﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجِدُّونَ فِيءَ آيَاتِنَا ﴾ والعطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ [برئ: ٢١] وقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الحجرات: ٢٢].

وقال ابن عاشور: قرأ نافع وابن عامر ويعقوب برفع (ويعلم) على أنه كلام مستأنف وقرأه الباقر بالنصب. فأما الاستئناف على قراءة نافع وابن عامر ويعقوب فمعناه أنه كلام آنف لا ارتباط له بما قبله، وذلك تهديد للمشركين بأنهم لا محيص لهم من عذاب الله لأنه لَمَّا قَالَ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ ﴾، صار المعنى: ومن آيات انفراده بالإلهية الجواري في البحر. والمشركون يجادلون في دلائل الوحدانية بالإعراض، والانصراف عن سماعها فهددهم

الله بأن أعلمهم أنهم لا محيص لهم، أي من عذابه فحذف متعلق المحيص إبهاما له وتهويلاً للتهديد لتذهب النفس كل مذهب ممكن، فيكون قوله ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ خبراً مراداً به الإنشاء والطلب فهو في قوة: وليعلم الذين يجادلون، أو اعلموا يا من يجادلون، وليس خبراً عنهم لأنهم لا يؤمنون بذلك حتى يعلموه.

وأما قراءة النصب فهي عند سيبويه وجمهور النحاة على العطف على فعل مدخول للام التعليل، وتضمن (أن) بعده. والتقدير: لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون إلخ.

وسموا هذه الواو (واو الصرف) لأنها تصرف ما بعدها عن أن يكون معطوفاً على ما قبلها، إلى أن يكون معطوفاً على فعل متصيد من الكلام وهذا قول سيبويه في باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما، وتبعه في الكشاف، وذهب الزجاج إلى أن الواو واو المعية التي تنصب الفعل المضارع بـ (أن) مضمرة، ويجوز أن يجعل الخبر مستعملاً في مقارنة الخبر به كقولهم: قد قامت الصلاة، فلما كان علمهم بذلك يوشك أن يحصل نزل منزلة الحاصل فأخبر عنهم به، وعلى هذا الوجه يكون إنذاراً بعقاب يحصل لهم عن قريب وهو عذاب السيف والأسر يوم بدر. وذكر فعل (يعلم) للتنويه والاعتناء بالخبر كقوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ في سورة البقرة، وقوله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في سورة الأنفال.

قَالَ الْعَجَلِي: ﴿وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

[التيسير: ٣٧]

القرءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف «كبير الإثم» وقرأ الباقون «كبائر الإثم».

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور (كبائر) بصيغة الجمع، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (كبير) بالإفراد، فكبائر الإثم: الفعلات الكبيرة من جنس الإثم وهي الآثام العظيمة التي نهى الشرع عنها نهياً جازماً، وتوعد فاعلها بعقاب الآخرة مثل القذف

والاعتداء والبغي. وعلى قراءة كبير الإثم فالمراد به معنى كبائر الإثم لأن المفرد لما أضيف إلى معرفّ بلام الجنس من إضافة الصفة إلى الموصوف كان له حكم ما أضيف هو إليه. قلت: أصح تعاريف الكبيرة: أنها ما توعد الشرع على فعله بالعذاب في الآخرة أو بالحدّ في الدنيا، أو بالغضب أو باللعنة، وكذا الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة.

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [التَّوْحِي: ٥١]

القراءات: «أو يرسل رسولاً فيوحي» قرأ نافع وابن ذكوان بخلف عنه برفع اللام من يرسل وإسكان الياء التي بعد الحاء في «فيوحي». وقرأ الباقون بنصب اللام والياء «يرسل»، «يوحي».

التوجيه: قال الرازي: قرأ نافع.. «أو يرسل رسولاً» برفع اللام «فيوحي» بسكون الياء ومحله رفع على تقدير وهو يرسل فيوحي. والباقون بالنصب على تأويل المصدر كأنه قيل ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو إسماعاً لكلامه من وراء حجاب أو يرسل لكن فيه إشكال لأن قوله وحياً وإسماعاً اسم، وقوله تعالى (أو يرسل) فعل وعطف الفعل على الاسم قبيح فأجيب عنه بأن التقدير: وما كان لبشر يكلمه إلا أن يوحي إليه وحياً أو يسمع إسماعاً من وراء حجاب أو يرسل رسولاً.

وقال أبو حيان: وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها أنها وحي وخص الأول باسم الوحي هنا لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة واحدة فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى وقيل: (وحياً) كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو (يرسل رسولاً)، أي نبياً كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم حكاه الزمخشري وترك تفسير (أو من وراء حجاب) ومعناه في هذا القول: كما كلم محمداً أو موسى صلى الله عليهما وسلم وقرأ الجمهور: (حجاب) مفرداً وابن أبي عبيدة: حجب جمعاً وقرأ الجمهور: بنصب الفعلين على

عطف (أو يرسل) على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب وهذا المضمر معطوف على وحيًا والمعنى: إلا بوحى أو سماع من وراء حجاب أو إرسال رسول فيوحى ذلك الرسول إلى النبي الذي أرسل إليه بإذن الله ما يشاء ولا يجوز أن يعطف (أو يرسل) على (أن يكلمه الله) لفساد المعنى. وقال الزمخشري: وحيًا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسالًا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضًا كقوله: (وعلى جنوبهم) والتقدير: وما صح أن يكلم أحدًا إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلًا. انتهى أما وقوع المصدر موقع الحال فلا ينقاس وإنما قالته العرب وكذلك لا يجوز جاء زيد بكاءً تريد باكيًا وقاس منه المبرد ما كان منه نوعًا للفعل نحو: جاء زيد مشيًا أو سرعة ومنع سيبويه أن يقع أن والفعل المقدر بالمصدر موقع الحال فلا يجوز نحو: جاء زيد أن يضحك في معنى ضحك الواقع موقع ضاحكًا فجعله وحيًا مصدرًا في موضع الحال مما لا ينقاس وأن يرسل في معنى إرسالًا الواقع موقع مرسلًا ممنوع بنص سيبويه وقرأ نافع وأهل المدينة: أو يرسل رسولًا فيوحي بالرفع فيهما فخرج على إضمار هو يرسل أو يتعلق به من وراء إذ تقديره: أو يسمع من وراء حجاب ووحياً مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير إلا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب ومرسلًا، وإسناد التكلم إلى الله بكونه أرسل رسولًا فجاز كما تقول: نادى الملك في الناس بكذا وإنما ينادي الذي يدور في الأسواق؛ نزل ما كان بواسطة منزلة ما كان بغير واسطة.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾

[الخوف: ٥]

القرءات: قرأ حمزة ونافع والكسائي وخلف وأبو جعفر «إن كنتم» وقرأ الباقون «أن

كنتم».

التوجيه: قال الرازي: قرئ «إن كنتم» بكسر الألف، تقديره: إن كنتم مسرفين لا

نضرب عنكم صفحًا، وقيل: إن بمعنى إذ، كقوله تعالى ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٧]، وبالجملة فالجزء مقدم على الشرط، وقرئ «أن كنتم» بفتح الألف على التعليل أي لأن كنتم مسرفين.

وقال الزمخشري: «أن كنتم» أي: لأن كنتم، وقرئ: إن كنتم وإذ كنتم. فإن قلت كيف استقام معنى أن الشرطية، وقد كانوا مسرفين على البت؟ قلت: هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدلل بصحة الأمر المتحقق لثبوته، كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك، ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق، مع وضوحه استجهاً لاه.

قلت: قراءة «إن كنتم» تفسيرية وليست متواترة.

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وحزمة والكسائي وأبو جعفر وخلف «إن كنتم» بكسر همزة «إن» فتكون «إن» شرطية، ولما كان الغالب في استعمال «إن» الشرطية أن تقع في الشرط الذي ليس متوقعًا وقوعه بخلاف إذا التي هي للشرط المتيقن وقوعه، فالإتيان بـ «إن» في قوله «إن كنتم مسرفين» لقصد تنزيل المخاطبين المعلوم إسرافهم منزله من يشك في إسرافه لأن توفر الأدلة على صدق القرآن من شأنه أن يزيل إسرافهم وفي هذا ثقة بحقية القرآن وضرب من التوبيخ على إمعانهم في الإعراض عنه.

وقراه ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بفتح الهمزة على جعل «أن» مصدرية وتقدير لام التعليل محذوفًا. أي لأجل إسرافكم، أي لا نترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين بل لا نزال نعيد التذكير رحمة بكم.

وقال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتها قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب إذا تقدم «أن» وهي بمعنى الجزء فعل مستقل كسروا ألفها

أحياناً فمحصوا لها الجزء فقالوا: أقوم إن قمت وفتحوها أحياناً وهم ينوون ذلك المعنى فقالوا: أقوم أن قمت بتأويل لأن قمت فإذا كان الذي تقدمها من الفعل ماضياً لم يتكلموا إلا بفتح الألف من أن فقالوا: قمتُ أن قُمتَ وبذلك جاء التنزيل وتتابع شعر الشعراء.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الرَّحْف: ١٨]

القراءات: «ينشأ» قرأ حفص وحمة والكسائي وخلف العاشر بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين وقرأ الباقر بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين.

التوجيه: قرئ «ينشأ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين للدلالة على أن الله قد هيا النساء لذلك، بل وفطر ما حولها من أهلٍ غيرهم على تهيئة ذلك لها، وقراءة «ينشأ» بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين تدل على أنهنَّ فطرن على محبة ذلك والرغبة فيه والسعي إليه، لا أنها تُكره من حولها على ذلك.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنشَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾

[الرَّحْف: ١٩]

القراءات: «عباد الرحمن» قرأ أبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي وخلف العاشر «عباد» بباء مفتوحة وبعدها ألف مع ضم الدال وقرأ الباقر «عند» بنون ساكنة بعد العين مع فتح الدال.

التوجيه: قال الرازي: قرأ نافع وابن كثير: عند الرحمن بالنون وهو اختيار أبي حاتم. واحتج عليه بوجه الأول- أنه يوافق قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الْأَعْرَاف: ٢٠٦]، وقوله ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ١٩]، والثاني- أن كل الخلق عباده فلا مدح لهم فيه. الثالث- أن التقدير أن الملائكة يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء الكفار فكيف عرفوا كونهم إنثاء؟ وأما الباقر فقرأوا «عباداً» جمع عبد وقيل جمع عابد كقيام وقيام وصائم ونيام وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد قال لأنه تعالى رد عليهم قولهم، إنهم بنات

الله وأخبر أنهم عبيد ويؤيد هذه القراءة قوله ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

قلت: هما قراءتان متواترتان، وفي كل قراءة فوائد، فما ذكره الرازي من احتجاج لاختيار أبي عبيد واختيار أبي حاتم إنما هي فوائد لهاتين القراءتين لا أوجه لترجيح إحداهما على الأخرى.

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وأبو جعفر بهمزيين أولاهما مفتوحة والأخرى مضمومة وسكون شين (أشهدوا) مبيناً للنائب وكيفية أداء الهمزتين يجرى على حكم الهمزتين في قراءة نافع، وعلى هذه القراءة فالهمزة للاستفهام وهو للإنكار والتوبيخ. وجيء بصيغة النائب عن الفاعل دون صيغة الفاعل لأن الفاعل معلوم أنه الله تعالى لأن العالم العلوي الذي كان فيه خلق الملائكة لا يحضره إلا من أمر الله بحضوره، ألا ترى ما ورد في حديث الإسراء من قول كل ملك موكل ببابٍ من أبواب السماوات لجبريل حين يستفتح من أنت؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد قال: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً ونعم المجيء جاء وفتح له، والمعنى أشهدهم الله خلق الملائكة وكقوله تعالى ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقرأه الباقر بهمزة مفتوحة فشين مفتوحة بصيغة الفعل، فالهمزة لاستفهام الإنكار دخلت على فعل (شهد)، أي ما حضروا خلق الملائكة على نحو قوله تعالى ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْتِنَا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿قَلَّ أَوْلَوْجِحْتِكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الخزف: ٢٤]

القراءات: «قال» قرأ حفص وابن عامر «قال» بفتح القاف واللام وألف بينهما وقرأ الباقر «قل» بضم القاف وإسكان اللام.

«جئتكم»: قرأ أبو جعفر «جئناكم» بنون مفتوحة مكان التاء المضمومة وألف بعدها وقرأ الباقر «جئتكم» بتاء مضمومة.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرأ الجمهور (قل) بصيغة فعل الأمر المفرد فيكون أمراً للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يقوله جواباً عن قول المشركين ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾. وقرأ ابن عامر وحفص (قال) بصيغة فعل الماضي المسند إلى المفرد الغائب فيكون الضمير عائداً إلى نذير الذين قالوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ فحصل من القراءتين أن جميع الرسل أجابوا أقوامهم بهذا الجواب، وعلى كلتا القراءتين جاء فعل (قل) أو (قال) مفصلاً غير معطوف لأنه واقع في مجال المحاورة كما تقدم غير مرة، منها قوله تعالى ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ في سورة البقرة.

وقرأ الجمهور «جتتكم» بضمير تاء المتكلم. وقرأ أبو جعفر جئناكم بنون ضمير المتكلم المشارك وأبو جعفر من الذين قرأوا (قل) بصيغة الأمر فيكون ضمير (جئناكم) عائداً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المخاطب بفعل (قل) لتعظيمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جانب ربه تعالى الذي خاطبه بقوله (قل).

قلت: والأصح عندي - والله أعلم - أن يكون تعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قراءة أبي جعفر «قل أولو جئناكم» في قوله «جئناكم» من جمع الضمير، فلم يقل «جاءكم الله ورسوله» ولا «جاءكم الرسول من عند الله»، بل قال «جئناكم» والمعنى: جاءكم الله بهدياً اصطفاي لمجيئكم به.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزُّنُور: ٣٣]

القراءات: «سقفًا» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح السين وإسكان القاف على الإفراد لإرادة الجنس وقرأ الباقر بضمها على الجمع.

المعنى: قال الرازي: قيل: سُقْف بضم السين والقاف جمع سَقْف، كَرَهْن وَرُهْن، قال أبو عبيد: ولا ثالث لهما، وقيل سُقْف جمع سقوف، كرهن ورهون، وزير وزبور، فهو جمع الجمع.

التوجيه: قال ابن جرير: واختلفت القراء في قراءة قوله «سُقفا» فقرأ بعضهم «سُقفا» بفتح السين وسكون القاف اعتباراً منهم ذلك بقوله ﴿ فَحَرَّ عَلَيَّهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ وتوجيهاً منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع. وقرأ آخرون (سُقفاً) بضم السين والقاف، ووجهها إلى أنها جمع سقيفة أو سقوف، وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع، لأن السقوف: جمع سَقْف، ثم تجمع السقوف سُقفاً، فيكون ذلك نظير قراءة من قرأ (فَرُهْنٌ مقبوضة) بضم الراء والهاء، وهي الجمع، وأحدها رهان ورهون، وواحد الرهون والرهان: رهن. وكذلك قراءة من قرأ (ثُمْرُه) بضم الثاء والميم، ونظير قول الراجز: «إِذَا ابْتَلَّتْ حَلَاقِيمُ الْخُلُقِ».

وقد زعم بعضهم أن السُقْف بضم السين والقاف جمع سَقْف، والرُّهْن بضم الراء والهاء جمع رُهْن فأغفل وجه الصواب في ذلك، وذلك أنه غير موجود في كلام العرب اسم على تقدير فَعْل بفتح الفاء وسكون العين مجموعاً على فَعْل، فيجعل السُقْف والرُّهْن مثله. والصواب من القول في ذلك عندي، أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، معروفتان في قراءة الأمصار، فبأتيهما قرأ القارئ فمصيب.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [الزُّخْرُفُ: ٣٥]

القراءات: «لما» قرأ عاصم وحمزة وابن جهم وهشام بخلف عنه بتشديد الميم وقرأ الباكون: بتخفيف الميم وهو الوجه الثاني لهشام.

التوجيه: قال الرازي: قرأ عاصم وحمزة (لَمَّا) بتشديد الميم والباكون بالتخفيف. وأما قراءة حمزة بالتشديد فإنه جعل (لَمَّا) في معنى إلا. وحكى سيبويه: نشدتك بالله لَمَّا

فعلت بمعنى إلا فعلت ويقوي هذه القراءة أن في حرف أبي: وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا وهذا يدل على أن (لما) بمعنى: إلا، وأما القراءة بالتخفيف فقال الواحدي لفظة (ما) لغو والتقدير لمتاع الحياة الدنيا. قال أبو الحسن الوجه التخفيف لأن كون لما بمعنى إلا لا يُعرف وحكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه التثقيب.

قلت: القراءتان متواترتان، وقد حكينا عن سيبويه أن «لما» بالتشديد تأتي بمعنى إلا.

قال الجواليقي: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

[الخزف: ٣٦]

القراءات: قرأ يعقوب (يُقَيِّضُ) وقرأ الباقر (نُقَيِّضُ).

التوجيه: قراءة (نقيض) بنون العظمة تفيد عزة الله وكبرياءه وعدم احتياجه إلى عبادة العباد، وقراءة الياء تفيد تعيين الفاعل وأنه هو الله سبحانه.

قال الجواليقي: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَدُلَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ﴾

[الخزف: ٣٨]

القراءات: (جاءنا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر بألف بعد الهمزة على التثنية «جاءنا» وقرأ الباقر بغير ألف.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر (جاءنا) بألف ضمير المثني عائداً على من يعش عن ذكر الرحمان وقربنه، أي شيطانه، أفراد ضمير (قال) لرجوعه إلى من يعش عن ذكر الرحمان خاصة، أي قال الكافر متندماً على ما فرط من اتباعه إياه واثتاره بأمره، وقرأ الجمهور (جاءنا) بصيغة المفرد والضمير المستتر في (قال) عائداً إلى (من يعش عن ذكر الرحمان). أي قال أحدهما وهو الذي يعشو. فالمعنى على القراءتين واحد؛ لأن قراءة التثنية صريحة في مجيء الشيطان مع قرينه الكافر

وأن المتندم هو الكافر، والقراءة بالإفراد متضمنة مجيء الشيطان من قوله ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ إذ علم أن شيطانه القرين حاضر من خطاب الآخر إياه بقوله (وبينك). وحرف (يا) أصله للنداء، ويستعمل للتلهف كثيراً كما في قوله (يا حسرة) وهو هنا للتلهف والتندم.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿فِيمَا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿ [الْحَجُّ: ٤١ - ٤٢]

القراءات: ﴿نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴿ قرأ رويس بتخفيف النون فيهما وإذا وقف على «نذهبن» وقف بالألف على الأصل في نون التوكيد الخفيفة وقرأ الباقون بتشديدها فيهما.

التوجيه: قرئ بنون التوكيد الخفيفة فيهما وبنون التوكيد الثقيلة فيهما أيضاً؛ قال ابن هشام في مغنى اللبيب: معنى نون التوكيد الخفيفة والثقيلة التوكيد، قال الخليل: والتوكيد بالثقيلة أبلغ، ويختصان بالفعل، ويؤكد بهما الأمر مطلقاً، وأما المضارع فإن كان حالاً لم يؤكد بهما، وإن كان مستقبلاً أكد بهما وجوباً، وقريباً من الوجوب إذا أتى المضارع بعد «إمّا»، ولا يؤكد بهما الماضي مطلقاً.

قلت: فائدتهما في هاتين الآيتين - والله أعلم - بيان أن الانتقام منهم واقع لا محالة سواء كان في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تفيد آية «أو نرينك» أو بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما تفيد آية «نذهبن بك» ويحتمل أن يكون المراد بيان أن الانتقام منهم واقع لا محالة سواء أبقى الله رسوله في مكة حتى يريه ذلك أو ذهب به خارج مكة - كما حدث في بدر - وهذا الثاني - والله أعلم - عندي أظهر، والأول - اختيار الزمخشري وابن عاشور، والثاني - اختيار القرطبي.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾

[الخُزْف: ٤٩]

القراءات: «أيها» قرأ ابن عامر وصلًا بضم الهاء اتباعًا لضم الياء والباقون بفتحها على الأصل ووقف عليه أبو عمرو والكسائي بالألف والباقون بحذفها وإسكان الهاء.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «يا أيه الساحر» بدون ألف بعد الهاء في الوصل وهو ظاهر وفي الوقف أي بفتح دون ألف وهو على غير قياس لكن القراءة رواية، وعلله أبو شامة بأنهم اتبعوا الرسم وفيه نظر وقرأه أبو عمرو والكسائي ويعقوب بإثبات الألف في الوقف وقرأه ابن عامر بضم الهاء في الوصل خاصة وهي لغة بني أسد، وكتبت في المصحف كلمة (أيه) بدون ألف بعد الهاء، والأصل أن تكون بألف بعد الهاء لأنها (ها) حرف تنبيه يفصل بين (أي) وبين نعتها في النداء وحذفت الألف في رسم المصحف مراعاةً لقراءة الجمهور والأصل أن يُراعى في الرسم حالة الوقف.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَكُ ﴾

مُقْتَرِنِينَ ﴿ [الخُزْف: ٥٣]

القراءات: «أسورة» قرأ حفص ويعقوب بسكون السين بالألف وقرأ الباقون بفتح السين وألف بعدها.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «أسورة» وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب «أسورة» و«الأسورة»: جمع أسوار لغيره في سوار. وأصل الجمع أساور مخفف بحذف إشباع الكسرة ثم عوض الهاء عن الحروف كما عوضت في زنادقة جمع زنديق إذ حقه زناديق. وأما سوار فيجمع على أسورة. والسوار: حلقة عريضة من ذهب أو فضة تحيط بالرسغ. وهو عند معظم الأمم من حلية النساء الحرائر. وقد كان من شعار الفراعنة لبس سوارين أو أسورة من ذهب وربما جعلوا سوارين على الرسغين وآخرين على العضدين. فلما تخيل

فرعون أن مرتبة الرسالة مثل الملك حسب افتقاد ما هو من شعار الملوك عندهم أمانة على انتفاء الرسالة.

قَالَ الرَّازِيُّ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الْحِجَابُ: ٥٦]

القراءات: «سلفًا» قرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام وقرأ الباقون بفتحها.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «سلفًا» بفتح السين وهو جمع سالف، وقرئ بالضم وهو جمع سلف، قال الليث: يقال سُلِفَ بضم اللام يسلف سلوفًا فهو سلف أي متقدم. وقال ابن عاشور: والسلف بفتح السين وفتح اللام في قراءة الجمهور: جمع سالف مثل: خدم لخدم، وحرس لحارس. والسالف الذي يسبق غيره في الوجود أو في عمل أو في مكان وما ذكر الانتقام كان المراد بالسلف هنا السالف في الانتقام، أي أن من بعدهم سيلقون مثل ما لقوا. وقرأ حمزة وحده والكسائي (سلفًا) بضم السين وضم اللام وهو جمع سليف اسم للطريق الذي سلف ومضى.

وقال ابن جريز: وكان حميد الأعرج يقرأ ذلك: «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا» بضم السين وفتح اللام توجيهًا منه ذلك إلى جمع سلفة من الناس، مثل أمة منهم وقطعة.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام؛ لأنها اللغة الجوداء والكلام المعروف عند العرب وأحق اللغات أن يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم.

قلت: قراءة «سلفًا» بضم السين واللام متواترة، فلا وجه لردّها، وأمّا قراءة ضم السين مع فتح اللام، فليست بمتواترة.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الْحُرُوفُ: ٥٧]

القرءات: «يصدون» قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر بضم الصاد وقرأ الباقون بكسرها.

التوجيه: قال الرازي: قرئ بضم الصاد وكسرها، قال الكسائي: هما بمعنى نحو يعرِشون ويعرِشون، ويعكفون ويعكفون، وقيل: هي بالضم من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه، وأما بالكسر فمعناه يضحجون.

وقال الشنقيطي: على قراءة الكسر فمعنى يصدون يضحجون ويصيحون، وقيل يضحكون، وقيل معناها واحد كـ «يعرِشون» و«يعرِشون».

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وخلف (يصدون) بضم الصاد من الصدود إما بمعنى الإعراض والمعرض عنه محذوف لظهوره من المقام، أي يعرضون عن القرآن لأنهم أوهموا بجدلهم أن في القرآن تناقضًا، وإما على أن الضم لغة في مضارع صد بمعنى ضج مثل لغة كسر الصاد وهو قول الفراء والكسائي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب بكسر الصاد وهو الصد بمعنى الضجيج والصخب.

والمعنى: إذا قريش قومك يصخبون ويضحجون من احتجاج ابن الزبيري بالمثل بعيسى في قوله، معجبين بفلجه وظهور حجته لضعف إدراكهم لمراتب الاحتجاج.

قلت: يقصد باحتجاج ابن الزبيري ما ذكره لما نزل قوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فقال: قد عبد عيسى، فهو في النار معنا، وجواب حجته الداحضة هذه هو قوله تعالى بعدها ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

قَالَ تَجَالِي: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الْحُجُوفُ: ٦٨]

القراءات: قرأ يعقوب «لا خوف» وقرأ الباقر «لا خوف».

التوجيه: يحتمل أن يقال هاهنا: معنى القراءتين واحد، باعتبار أنه إذا كان المنفي، دلالة نفي أفراده كدلالة نفي جنسه كان الفتح والضم سواء، كما نقلنا عن ابن عاشور في سورة البقرة عند قوله تعالى ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ويحتمل أن يقال: قراءة «لا خوف» بالضم مناسبة لوجود الخوف في عرصات يوم القيامة عند تطاير الصحف والمروور على الصراط وعند الميزان والحساب، وقراءة «لا خوف» بالفتح - على نفي الجنس - باعتبار أن مأهم إلى دخول الجنة حيث لا خوف بالكلية، فالقراءة الأولى باعتبار ما يكون في أول يوم القيامة من الخوف والقلق، والثانية باعتبار ما يؤول إليه الأمر عند دخولهم الجنة أو عند تبشيرهم بالنجاة.

قَالَ تَجَالِي: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الْحُجُوفُ: ٦٨]

القراءات: قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ورويس في الحاليين «يا عبادي

لا» وقرأ شعبة بفتح الياء وصلًا وإسكانها وقفًا «يا عبادي لا» وقرأ الباقر «يا عباد لا».

التوجيه: قرئ: «يا عبادي لا» بإسكان الياء وفتحها «يا عبادي» وقرئ بحذف

الياء، وهي لغات في المنادى معروفة عند العرب وأشهرها وأكثرها استعمالاً وأجودها، كما نقلنا عن د/ فاضل السامرائي في «كنوز قرآنية» الجزء الثالث: «يا عباد» ثم «يا عبادي» ثم «يا عبادي» ولعل فائدة هذه القراءات الثلاث الدلالة على أن كل من انتسب إلى عبودية الله وآمن به ووحد له نوعاً من الأمان يوم القيامة سواء كان من المقربين أو أصحاب اليمين أو المقصرين الذين غلبت سيئاتهم حسناتهم ولكن ماتوا على التوحيد، ويكون المقربون هم الذين ينادون بأجود لغات النداء «يا عباد» ثم أصحاب اليمين «يا عبادي» ثم المقصرون «يا عبادي» أو يقال قراءة «يا عبادي» بالإسكان على الأصل في ياء الإضافة وقراءة الفتح

«يا عبادي» لتخفيف ثقل سكون الياء وقراءة حذف الياء لمزيد التخفيف، وتكون قراءة «يا عبادي» بالإسكان دالة على شدة القرب، وذلك لما يفيدته التصاق الياء، وقراءة الياء «يا عبادي» لمن هم أقل إيماناً منهم، وقراءة «يا عباد» لمن هم أقل، والاحتمال الأول عندي أقرب، والله أعلم، إلا أن القراءات الثلاث على كلا الاحتمالين تدل على نفس المعنى.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [التَّحْوِيفُ: ٧١]

القراءات: «ما تشتهيه» قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر بزيادة هاء الضمير مذكراً بعد الياء وقرأ الباقر بحذفها.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر «ما تشتهيه» بهاء ضمير عائذ إلى «ما» الموصولة وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة، ومصحف الشام، وقرأه الباقر (ما تشتهي) بحذف هاء الضمير، وكذلك رسم في مصحف مكة ومصحف البصرة ومصحف الكوفة. والمروي عن عاصم قارئ الكوفة روايتان: إحداهما أخذ بها حفص والأخرى أخذ بها أبو بكر. وحذف العائد المتصل المنصوب بفعل أو وصف من صلة الموصول كثير في الكلام.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ [التَّحْوِيفُ: ٨٣]

القراءات: «يلاقوا» قرأ أبو جعفر «يلقوا» بفتح الياء وإسكان اللام بلا ألف وفتح القاف وقرأ الباقر «يلاقوا» بضم الياء وفتح اللام وإثبات الألف وضم القاف.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرأ الجمهور «يلاقوا» بضم الياء وبألف بعد اللام، وصيغة المفاعلة مجاز للدلالة على أنه لقاء محقق، وقرأه أبو جعفر «يلقوا» بفتح الياء وسكون اللام على أنه مضارع المجرد.

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الْخُرُف: ٨٥]

القرءات: «ترجعون» قرأ ابن كثير وحمة والكسائي ورويس وخلف العاشر بياء الغيب وقرأ الباقون بياء الخطاب على الالتفات.

التوجيه: قراءة الياء على الغيبة إخبار عن هؤلاء الكفار الذين كفروا بالله وجعلوا له الولد، ولم يخاطبهم لأنهم بكفركم استحقوا إعراض الله عنهم، وقراءة التاء تحتل أن تكون خطاباً لهم على سبيل التوبيخ والتهديد، فهو خطاب سخطٍ وغضب لا خطاب رحمة وإحسان، وتحتل أن تكون خطاباً لجميع المكلفين، ففيها مع تهديد الكفار تبشير المؤمنين بإكرام الله لهم وإحسانه إليهم عند ورودهم إليه يوم القيامة.

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَقِيلَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الْخُرُف: ٨٨]

القرءات: «وقيله» قرأ عاصم وحمة بخفض اللام وكسر الهاء وقرأ الباقون بفتح اللام وضم الهاء.

التوجيه: قال الرازي: قرئ بخفض اللام وفتحها، أما الذين قرءوا بالنصب فذكر الأخفش والفراء فيه قولين أحدهما - أنه نصب على المصدر بتقدير وقال قيله وشكا شكواه إلى ربه يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانتصب قيله بإضمار قال.

والثاني- أنه عطف على ما تقدم من قوله «أنا لا نسمع سرهم ونجواهم... وقيله». وذكر الزجاج فيه وجهاً ثالثاً فقال إنه نصب على موضع الساعة لأن قوله ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ معناه أنه عِلْمُ الساعة والتقدير عِلْمُ الساعة وقيله: ونظيره قولك عجبت من ضرب زيد وعمراً. وأما القراءة بالجر فقال الأخفش والفراء والزجاج أنه معطوف على الساعة أي عنده عِلْمُ الساعة وعِلْمُ قيله يارب. قال المبرد: العطف على المنصوب حسن

وإن تباعد المعطوف من المعطوف عليه لأنه يجوز أن يفصل بين المنصوب وعامله والمجرور يجوز ذلك فيه على قبح.

وقال الشنقيطي: قرأ هذا الحرف نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، والكسائي (وقيله) بفتح اللام وضم الهاء وقراءة عاصم وحمة: (وقيله) بكسر اللام والهاء؛ قال بعض العلماء إعرابه بأنه عطف محل على الساعة لأنَّ قوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٨٥]، مصدر مضاف إلى مفعوله. فلفظ الساعة مجرور لفظاً بالإضافة منصوب محلاً بالمفعولية، وما كان كذلك جاز في تابعه النصب نظراً إلى المحل والخفض نظراً إلى اللفظ. كما قال في الخلاصة:

وَجُرُّ مَا يَتَّبِعُ مَا جُرَّ وَمَنْ رَاعَى فِي الْإِتِّبَاعِ الْمَحَلَّ فَحَسَنٌ

وقال في نظيره في الوصف: واخفض أو انصب تابع الذي انخفض، كمبتغي جاءه وماً من نهض، وقال بعضهم: هو معطوف على ﴿ سِرَّهُمْ ﴾ [الزَّخْرَفُ: ٨٠] وعليه فالمعنى: أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم، وقيله يارب الآية وقال بعضهم: هو منصوب على أنه مفعول مطلق. أي، وقال: قيله وهو بمعنى قوله إلا أن القاف لما كسرت، أبدلت الواو ياء لمجانسة الكسرة: قالوا ونظير هذا الإعراب قول كعب بن زهير:

تَمْشِي الْوَشَاةُ جَنَابِيهَا وَقِيلَهُمْ إِنَّكَ يَا بَنِي سَلْمَى لَمَقْتُولٌ

أي ويقولون: قيلهم وقال بعضهم هو منصوب بـ يعلم محذوفة؛ لأن العطف الذي ذكرنا على قوله: سرهم، والعطف على الساعة يقال فيه إنه يقتضي الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يصلح لكونه اعتراضاً، وتقدير الناصب إذا دل المقام عليه لا إشكال فيه كما قال في الخلاصة:

وَيَحْدَفُ النَّاصِبُ إِنْ عَلِمَا وَقَدْ يَكُونُ حَذْفُهُ مَلْتَزِمًا

وأما على قراءة الخفض فهو معطوف على الساعة، أي وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب واختار الزمخشري أنه مخفوض بالقسم ولا يخفى بعده كما نبه عليه أبوحيان.

وقال الزمخشري: ﴿ وَقِيلَهُ ﴾ قرئ بالحركات الثلاث، وذكر في النصب عن الأخص أنه حمله على: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله، وعنه: وقال قيله، وعطفه الزجاج على محل الساعة. كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمراً، وحمل الجر على لفظ الساعة، والرفع على الابتداء والخبر ما بعده: وجوز عطفه على علم قيله. والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً، ومع تنافر النظم، وأقوى من ذلك وأوجه: أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه، والرفع على قولهم: أيمن الله، وأمانة الله، ويمين الله، ولعمرك: ويكون قوله: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ جواب القسم، كأنه قيل: وأقسم بقيله يارب - أو وقيله يارب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

قلت: قراءة الرفع غير متواترة، وهذا الذي قواه ووجهه قد استبعده أبو حيان ووافقته الشنقيطي كما قدمنا، والذي يظهر لي - والله أعلم - أن حمل الآية على القسم أقوى، ولكن الأوجه في المعنى أن يكون قوله « وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون » هو المقسم به، والمقسم عليه محذوف، فكأنه قال: وقول رسولي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون لانتقم منهم.

قَالَ تَجَالِي: ﴿ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الْحُرُوفُ: ٨٩]

القرءات: «يعلمون» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بياء الغيب وقرأ الباكون بقاء الخطاب على الالتفات.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وروح عن يعقوب (تعلمون) بالياء (المثناة الفوقية) على أن «فسوف تعلمون» مما أمر الرسول بأن يقوله لهم، أي وقل سوف تعلمون. وقرأ الجمهور بياء تحتية على أنه وعد من الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه منتقم من المكذبين.

